بسم الله الرحمن الرحيم

التفاؤل بوابة النجاح الكبرى

اعداد : علي بن محمد عبده المطري

عفا الله عنه وغفر له ورحمه

واسكنه فسيح جناته

٢٥/ جمادى الأولى / ١٤٤٣ هـ

التفاؤل بوابة النجاح الكبرى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) {سورة آل عمران ١٠٢}.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) {سورة النساء١}.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا){ سورة الأحزاب ٧٠-٧١} .

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اما بعد :

- إننا لنُشاهِد بأعيُننا ونسمعُ بآذاننا المصائِبَ إثرَ المصائِب، والأحزانَ إثرَ الأحزان لإخوانٍ لنا في الدين، أو جيرانٍ أو قرابةٍ، أو لنا نحن قبلَهم أو بعدهم - عافانا الله وإياكم منها -، فنقِفُ أمامَها مُحدقِي الأبصار، نخبِطُ في التعامُل معها خبط عشواء، يغلِبُ علينا بسببها اليأسُ والقنوطُ والتشاؤُم الذي لا يزيدُ الكربَ إلا ضيقًا، ولا الضيقَ إلا حرَجًا، كأنَّما يصَّعَّدُ أحدُنا في السماء، فلا يزيدُ الجُرحَ إلا إيلامًا.

فما الحل؟

- الحل أن نتفاءل ونعمل ما نستطيع، إذاً واجبنا أولاً: أن نتفاءل، نعم التفاؤل هو الحل الأول، لكن ما هو التفاؤل وما أهميته وما هي فوائده؟

الفأل لغة:

- ضدّ الطّيرة والجمع فئول، وتفاءلت به وتفاءلت به والفأل: أن يكون الرّجل مريضا فيسمع آخر يقول يا سالم، أو يكون طالب ضالّة فيسمع آخر يقول يا واجد فيقول تفاءلت بكذا، ويتوجّه له في ظنّه كما سمع أنّه يبرأ من مرضه أو يجد ضالّته. والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء.

واصطلاحاً:

- الفأل هو الكلمة الصّالحة أو الكلمة الطّيّبة أو الكلمة الحسنة، روى البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((لا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ)) قَالَ: وَمَا الفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ)). رواه البخاري ومسلم .

- قال ابن عبّاس- رضي الله عنهما- الفرق بين الفأل والطّيرة أنّ الفأل من طريق حسن الظّنّ بالله، والطّيرة لا تكون إلّا في السّوء فلذلك كرهت.
- قال الطّيبيّ: (معنى التّرخّص في الفأل والمنع من الطّيرة هو أنّ الشّخص لو رأى شيئا فظنّه حسنا محرّضا على طلب حاجته فليفعل ذلك. وإن رآه بضدّ ذلك فلا يقبله بل يمضي لسبيله. فلو قبل وانتهى عن المضيّ فهو الطّيرة الّتي اختصّت بأن تستعمل في الشّؤم).
- تذكر أن الحال لا يدوم وان العسر يعقبه يسر(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا*إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)[الشرح:٥،٦]، ولن يغلِبَ عُسرٌ يُسرَيْن.
- من العلل والأمراض النفسية المتفشية في كثير من الناس اليأس والجزع والحزن عند المصيبة، والفرح والبطر عند إقبال الدنيا! ويعود السبب إلى أن معظم البشر لا يضعون الأمور في نصابها، بل يميلون إلى التهويل والمبالغة في التعامل مع المشكلات، وقد صور القرن الكريم هذه الحالة في عدد من الآيات، منها قوله - تعالى -: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا) [الإسراء: ٨٣]، وقوله -تعالى-: (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) [فصلت: ٤٩]. وقوله -تعالى-: (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ) [هود: ٩، ١٠].
- ومن رحمة الله - تعالى - بعباده المؤمنين أنه منَّ عليهم فشفاهم من هذه العلة، ووهبهم ما يعينهم على وضع الأمور في نصابها وأن تكون نظرتهم للحياة معتدلة من غير إفراط ولا تفريط، وقد صور القرآن الكريم حال المؤمنين هذه في أعقاب الآيات المتقدمة من سورة هود بقوله - تعالى -: (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) [هود: ١١].

فاليأس لا يجوز في حياة المسلم؛ لأنه من صفات الكفار والذين لا يعرفون حقيقة دين الله - تعالى -.

- قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ - رضي الله عنه -: (أكبرُ الكبائِرِ: الإشراكُ باللهِ والأمنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ والقنوطُ مِنْ رحمةِ اللهِ واليأسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ)[الطبراني في الكبير]. (ا.هـ).
- غير أن بداية طريق الوُصول من العُسر إلى اليُسر هو الفَألُ وحُسن الظنِّ بالله؛ فإنه يجعلُك تُحِسُّ بالنور ولو كنت أعمَى البصر؛ لأن التشاؤُم لا يُريك إلا الظلام ولو كنتَ أبصرَ الناس.
- ولذا فإن من سبَرَ حياةَ المُصطفى -صلى الله عليه وسلم- وجدَها مليئةً بالفألِ والتفاؤُل، حتى في لقائِه مع عدوِّه اللَّدُود؛ فإنه - صلى الله عليه وسلم - لما كان في صُلح الحُديبية، وأقبلَ عليهم رجلٌ من قُريش -هو سُهيل بن عمرو-، قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: ((لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ))[صحيح البخاري].
- بل لقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حبه للتفاؤل يغير الأسماء التي توحي بالهم والنكد، روى البخاري في صحيحه بسنده عَنِ ابْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: ((مَا اسْمُكَ)) قَالَ: حَزْنٌ، قَالَ: ((أَنْتَ سَهْلٌ)) قَالَ: لاَ أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي قَالَ ابْنُ المُسَيِّبِ: ((فَمَا زَالَتِ الحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ)). (البخاري حديث: ٦١٩٠).

(حزونة) غلظ وقساوة في الخلق وشدة.

- حتى في أعظم العبادات ألا وهو الدعاء يأمرنا رسول الله باستحضار التفاؤل عند الدعاء وهو اليقين بإجابة الدعاء، روى الترمذي في سننه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ)). [رواه الترمذي: ٣٤٧٩، وهو حديث صحيح، كما في صحيح الترمذي: ٢٧٦٦].
- ويُربِّي أمَّتَه - صلوات الله وسلامُه عليه- على التفاؤل، فإن الفرَجَ في الفأل والسَّعَة في الأمل بالله؛ فقد كان - صلى الله عليه وسلم - إذا استسقى بأصحابه قلَبَ رداءَه تفاؤُلاً في أن يُغيِّرَ الله حالَهم من الشدَّة إلى الرخاء، ومن الجَدبِ إلى الغيث والإنبات.
- وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعجبه سماع الكلمات المبشرة والمفرحة تناسب العمل الذي يقوم به وتبر بحصوله، روى الترمذي في سننه بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، ((أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَنْ يَسْمَعَ: يَا رَاشِدُ، يَا نَجِيحُ)). [رواه الترمذي: ١٦١٦]. وهو حديث صحيح [صححه الألباني صحيح الجامع الصغير: ٤٩٧٨].
قال في مرقاة المفاتيح: (كَانَ يُعْجِبُهُ: أَيْ يَسْتَحْسِنُهُ وَيَتَفَاءَلُ بِهِ (إِذَا خَرَجَ لِحَاجَةٍ أَنْ يَسْمَعَ: يَا رَاشِدُ) أَيْ وَاجِدُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ (يَا نَجِيحُ). أَيْ مَنْ قُضِيَتْ حَاجَتُهُ، وَالْمُرَادُ هَذَا وَأَمْثَالُهُ لِمَا وَرَدَ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ، وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ). (ا.هـ).
- وجاء أيضا في سنن أبي داود مثال عملي يوضح تفاؤل الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأسماء الجميلة، روى أبو داود في سننه بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ: ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنِ اسْمِهِ، فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنِ اسْمِهَا فَإِنْ أَعْجَبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ)). [رواه أبو داود: ٣٩٢٠، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة: ٧٦٢].
- الفأل لا يعني تحقُّق الأشياء بالضرورة، لكنَّه أسُّ علاج التشاؤُم واليأس، ففي جوِّ الفأل يتعافى الفِكرُ والبدنُ، ويكونُ العبدُ أقربَ إلى الله ورسولِهِ -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهما أمرَا به. وفي جوِّ اليأس يبعُدُ العبدُ عن الله، وعن رسولِهِ -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنهما قد نهَيَا عنه.
- الفأل -عباد الله- أولَى خُطوات العمل، والتشاؤُم أولَى خُطوات الكسَل والإخلادِ إلى الأرض واتِّباع الهوَى. الفأل -عباد الله- كالمرهَم على الجُرح، والتشاؤُم كالمِلح على الجُرح. فالفأل -عباد الله - ثقةٌ بالله، وإيمانٌ بقضائِه وقدره، وفي التشاؤُم سُوءُ ظنٍّ بالله وريبةٌ في قضائِه وقدره. الفأل حياة، والتشاؤُم وفاة.

الفأل نورٌ للفتى وسعادةٌ

فاهنأ بدربٍ يستضِيءُ بفالِكَا

ما الشُّؤمُ إلا ظُلمةٌ وشقاوةٌ

من نالَ منه الشُّؤمُ أصبحَ هالِكًا

- ولنتذكر قول الله تعالى (يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف: ٨٧].
- قال الرازي: (قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ يُرِيدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَعَنْ قَتادَةَ: مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَقالَ ابْنُ زَيْدٍ: مِنْ فَرَجِ اللَّهِ.
ثُمَّ قال: إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَيْرٍ يَرْجُوهُ فِي الْبَلَاءِ وَيَحْمَدُهُ فِي الرَّخَاءِ.
وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَأْسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَحْصُلُ إِلَّا إِذَا اعْتَقَدَ الْإِنْسَانُ أَنَّ الْإِلَهَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى الْكَمَالِ أَوْ غَيْرُ عَالِمٍ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ أَوْ لَيْسَ بِكَرِيمٍ بَلْ هُوَ بَخِيلٌ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ يُوجِبُ الْكُفْرَ، فَإِذَا كَانَ الْيَأْسُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا عِنْدَ حُصُولِ أَحَدِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا كُفْرٌ ثَبَتَ أَنَّ الْيَأْسَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا لِمَنْ كَانَ كَافِرًا واللَّه أَعْلَمُ)[تفسير الرازي].(ا.هـ).
- وكان بعض علماء السلف - رحمهم الله - يقولون يجب أن يوصى كل من أصيب بمصيبة أن يقرأ سورة يوسف حتى ينفتح باب الأمل.
- وقال القرطبي في تفسيره: ((وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) أَيْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ فَرَجِ اللَّهِ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ، يُرِيدُ: أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَرْجُو فَرَجَ اللَّهِ، وَالْكَافِرَ يَقْنَطُ فِي الشِّدَّةِ. وَقالَ قَتادَةُ وَالضَّحَّاكُ: مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. (إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُنُوطَ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَهُوَ الْيَأْسُ)[الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي].(ا.هـ).

فإياك أخي الحبيب أن تجعل اليأس والتشاؤم يتسللان إلى قلبك فما عليك إلا التوكل على الله والأخذ بالأسباب فإن أمر المؤمن كله خير.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ولرب نازلةٍ يضيق بها الفتى

ذرعاً وعند الله منها المخرج

وقال آخر:

وإني لأدعُو اللهَ حتى كأنَّما ♦♦♦ أرَى بجميلِ الظنِّ ما اللهُ صانِعُ

- ونهى - صلى الله عليه وسلم - عن تقنيط وتيئيس المرء لمن حوله مهما كانت الظروف والأحوال، روى مالك في موطئه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)). (رواه مسلم في كتاب البر، وأبو داود في الأدب، ورواه مالك وأحمد وغيرهم قال أبو إسحاق راوي صحيح مسلم)
- وأختم كلامي لكم أيها الأحباب بقصة ذكرها ابن القيم - رحمه الله - في كتابه (مفتاح دار السعادة) إذ يقول: (أضللت بعض الأولاد يوم التروية بـ مكة وكان طفلاً، فجهدت في طلبه والنداء عليه في سائر الركب إلى وقت يوم الثامن، فلم أقدر له على خبر، فأيست منه، فقال لي إنسان: إن هذا عجزٌ، اركب وادخل الآن إلى مكة فتطلبه، فركبت فرساً، فما هو إلا أن استقبلت جماعةً يتحدثون في سواد الليل في الطريق، وأحدهم يقول: ضاع لي شيء فلقيته، والتفاؤل هو أنك تسمع قولاً، أو ترى شيئاً حسناً فتتفاءل منه، فقد يجري الله بقدره بهذا التفاؤل أن يحدث لك ما تريده أنت، فـ ابن القيم يبحث عن الولد، فيقول: فسمعت إنساناً يقول: ضاع لي شيء فوجدته، ثم قال: فلا أدري انقضاء كلمته أسرع أم وجد الطفل مع بعض أهل مكة في محملة عرفته بصوته). (ا.هـ).

تنبيه:

- بعض الناس يردد (تفاءلوا بالخير تجدوه) وهذا عندما بحث في صحته من عدمه، لم أجد له أصلا، والله أعلم.
- فلنتفاءل جميعا ولنتذكر أن في التفاؤل: حسن ظن بالله وترويح لأنفسنا وجلب للسعادة وتقوية للعزيمة، وقبل كل ذلك وبعده هو اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

اللهم فرج كربتنا وأذهب غمتنا وارحم ضعفنا واجبر كسرنا وتول أمرنا وأبعد السوء والشر عنا ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا، اللهم آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

"التفاؤل" وأهميته في حياتنا

- لا شك أن العالم بأسره - خاصة في هذه الأيام - يعيش وضعاً كئيباً مُظلماً، قد يدفع لليأس والقنوط، وأحياناً قد يذهب البعض بعيداً فيفكر في الانتحار؛ خوفاً من أن يصاب بكورونا فيتلاشاه ويتحاشاه الأحباب والأصدقاء، وقد كنت أعتقد بتمام اليقين أن فرار المرء من أخيه وأمه وأبيه، سيكون يوم القيامة فقط -كما قال ربنا في كتابه- حتى جاءت هذه الجائحة فرأينا بأم أعيننا الفراق والفرار من الأهل في حياتهم وهم مصابون ومرضى، والفرار من حمل جثامينهم بعد استراد صاحب الأمانة لأمانته.
- ويقيناً... هذا الواقع محزن ويدفع باتجاه المرض النفسي، ونحن ثقتنا في الله عظيمة وقوية ويقيننا بأنه ما رفعت قدم على قدم إلا بقدر مكتوب، وعليه فإن القنوط والحزن باب فرح للشيطان؛ لأنه يثبط المرء عن طريقه، ويجعله منطوياً منعزلاً، وهذا لا يليق بالإنسان، فالحياة كد وتعب وطريق شاق للوصول، وعليه فإننا ومن باب نشر روح الأمل نكتب هذا المقال.

ما هو التفاؤل؟

- التفاؤل في سياقه العام هو: "استعداد داخلي لحب الحياة والهدوء والسكينة المتشبعين بالأمل في قادم مبشر بلا أحزان أو هموم".
وهذا المعنى في نظري شمولي جيد يتماشى مع الواقع الذي نحياه جميعاً؛ فالكل يتمنى الخير ويحب الاطمئنان ويسعد بالأمل ويحلم بمستقبل مشرق.

أهمية التفاؤل في حياتنا؟

- الأمر ليس مجرد كلمات تكتب على لوحة المفاتيح بقدر ما هي حياة نحياها فنسعد بأفراحها، ونئن لأحزانها، ونتعاطف مع أمراضها، فهي حياة شاملة ما بين الأفراح والأتراح، لذلك فكلما كان المرء متفائلاً كلما كانت قوته على مواجهة الصعاب بشتى أنواعها أقوى ، فلا خير في التشاؤم، فضلاً عن أثاره السلبية لكن هناك خيرات في التفاؤل فضلا عن أثاره الإيجابية.
وعليه... فالمرء - أولاً/ - يكتسب بتفاؤله حياته، بل يكتشف معنى جديداً لهذه الحياة بتعزيزه لثقته بذاته، وقدرته على الصمود والجلد في مواجهة التحديات.
ثانياً/ التفاؤل -على المستوى الصحي- قد يعجل بالشفاء؛ فـ "نصف الدواء في الطمأنينة، ونصف الداء في الوهم" -كما قال ابن سينا- فحب الحياة والتطلع للأمل ونشر البشريات والتركيز على الجوانب المضيئة كل هذا من معجلات تمام العافية وإلا لما قال نبينا -صلى الله عليه وسلم- في حديثه: "بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا".

- فكل شيء له مرده، وله ما بعده، وفطانة القائد الأعظم في نشر ثقافة البشرى والتخفيف وعدم التنفير -يقيناً- كان الهدف منها نشر الأمل والطمأنينة وحب الحياة والعمل.
- إن التفاؤل وإن بدا في مجتمع يقتات على التشاؤم والأحزان أمر صعب، إلا أنه واقع لا محالة، بل حتمي الحدوث؛ فنحن كمسلمين نقرأ يومياً في كتاب ربنا: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح:٥، ٦] عسر وحيد أمام يُسرين، ولن يغلب عسر يسرين أبداً؛ فهذا توجيه بالتفاؤل، بل بالعمل من أجل إحداثه واقعاً نسعد به وتطمئن به نفوسنا وعقولنا وقلوبنا، ثم نخرج كل طاقات الإبداع والنور في حياتنا وأعمالنا، فضلاً عن تطوير أنفسنا والهمة العالية في ذلك الخصوص.
- والتفاؤل ينير حياة الزوج مع أسرته، ويجعل منها أسرة سعيدة قوية، لديها مناعة فولاذية لمقاومة الأحزان ، مستمدة كل ذلك من كتاب ربنا وسنة نبينا -صلى الله عليه وسلم- ومن فهم الزوجين لطبيعة الحياة وعثراتها، وكم هي مؤلمة وقاسية لو كان التشاؤم سمتنا، وكم هي هينة ويسيرة في حال كون التفاؤل نبراساً، وكان الأمل شعاع نور يزيل كل أوجاع الضيق والحزن.
- إن التفاؤل مهم وحتمي في حياتنا وخاصة في أعمالنا -سواء كانت إدارية أو غير ذلك- فلو ركن العامل والموظف والمهندس والمحاسب والطبيب لحالة اليأس والحزن من هول ما يسمع من أوجاع وأحزان ستنتشر كالنار في الهشيم، فإنه يقيناً سيصبح مصيره مؤلماً؛ فقد يجلس في بيته لا رغبة لديه في مخالطة الناس، بل في الحياة كلها، وتلك طامة كبرى ومأساة حقيقية، فالبيوت اليوم تكتوي بنار الغلاء المعيشي، وتكاليف تربية الأولاد كبيرة وعظيمة، والجميع يسعى ليكفي أهله السؤال من اللئام في مجتمع الذئاب، وعليه فالتشبع بالأمل والطمأنينة وروح التفاؤل يدفع كل موجوع أن يتحول حاله لما فيه خير له نفسياً ومعنوياً، وحال أسرته مادياً وحياتياً. وكلنا في مشقة الحياة نسعى، يقول تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى} [النجم:٣٩، ٤٠].
- لذا فالتفاؤل -وإن رأى فيه البعض هماً أو حلماً- فإن عواقب غيابه أكبر بكثير من التسليم الكامل بالأحزان والتأقلم معها تماماً، كشخص أحب المحن وتأقلم معها وهو يظن أنه صابر محتسب بدون أن يسعى جاهداً لتغيير حاله ووضعه، وهذا ليس من الفهم في شيء؛ فالمرء مطالب بالسعي لحياة أفضل وواقع أجمل له ولمن يعول ولن يتأتى ذلك إلا بالطمأنينة والسعي وبث روح الأمل بداخله ومن يحب.

فما فائدة أن تتحول الحياة لمجتمع كئيب أحزانه أكثر من أفراحه، وهمومه وغمومه أكثر من آماله وبشرياته وراحة باله.

- إن التفاؤل لا يزال ترجمة لحياة صحية ونفسية واجتماعية سليمة مكللة بالنجاح ؛ فالله عز وجل بشّر بأن بعد العسر يسراً، وبأن الفائزين في نهاية المطاف هم العاملون المبشرون الميسرون وليس المنفرون المعسرون لحياتهم.

والتفاؤل في حياتنا ليس أمراً ثانوياً، بل هو شيء أساسي لمن يعي ويفهم ويريد أن يحيا حياة بلا متاعب وصعاب، فهو طاقة نور، وشمس مضيئة تدفع لمزيد من الإنتاج وحب الحياة ومن ثم العمل الدؤوب للوصول لمستقبل باهر ومشرق بغير معوقات داخلية نفسية، أو الوقوف كثيراً في

خانة العطالة والجمود، فهو يدفع بالمرء لتغيير نمط حياته، فضلاً عن استبشاره الدائم وتبسمه واستشرافه لمستقبل يضيف إليه ومن معه.

- إن الحديث عن التفاؤل اليوم أصبح حتمياً، ولعله من باب إدخال السرور على قلوب المسلمين والتخفيف من وطأة التفكير في الأحزان، وسعياً في عدم تهويل الأوجاع.
- وإضافة شيء من البساطة والتفكير في أهمية أن يحيا المرء حياة طبيعية بلا إجهاد عقلي وذهني له ولمن يحبهم في الهزات والأوبئة التي تصيب العالم وتصيبنا جميعاً.
- وأن نعمق بداخلنا التسليم الكامل بالقدر الإلهي والرضا مع السعي الحثيث للأخذ بكامل الأسباب، لكن المهم أن لا تقودنا الصعاب لحالة تشاؤمية تدفعنا للانتحار أو الاعتراض على أقدار الله بقدر ما يقودنا التسليم للقدر بالتفاؤل بأن الله لطيف بعباده.

أسباب التفاؤل:

- وأكبر أسباب التفاؤل: النظر الى عطاء الله عز وجل بعين الرضا. قال تعالى (وسخر لكم ما في السموات والأرض جميعا منه، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (الجاثية: ١٢)، ويقول (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (الإسراء: ٧٠). فالقرآن يدعو الإنسان الى الإقبال على الحياة الدنيا للتمتع بطيباتها والاستفادة من نعيمها على أن يقف قبل ذلك على حقيقة هويتها.

- ومن أسباب التفاؤل: دعوة الكتاب والسنة الى التيسير على النفس، ومن ذلك قوله تعالى (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) (النساء: ٢٨)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم "إن الدين يسر ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" رواه البخاري. وقوله تعالى (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) (آل عمران: ١٧١).

- والتفاؤل هو باب من أبواب حسن الظن بالله، من بيده الخلق والرزق والشفاء، ولذا فالمؤمن صابر وشكور، وهما صفتان يتميز بهما عن غيره أثناء تعامله مع ظروف الحياة وصعوباتها فالصبر والشكر يجعلان المؤمن أكثر تفاؤلاً، لأنه يدرك أن الله معه، وأن المستقبل له، فلا يحزن على شيء فاته ولا يخاف من شيء سيأتيه، قال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) (يونس:٦٢-٦٣).

- من الصفات التى حببها اللهُ رسوله صفة التفاؤل، إذ كان متفائلا في كل أحواله وأموره، بل في مواقفه صلى الله عليه وسلم تفاؤل ورجاء وحسن ظن بالله، بعيدة عن التشاؤم الذي لا يأتي بخير أبداً، **وسأذكر باختصار بعض المواقف للاقتداء به صلى الله عليه وسلم :**

١ـ الاضطهادات: رأت قريش أن محمداً لا يصرفه عن دعوته شيء، فاستخدموا السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والتشويه والدعايات الكاذبة والمساومات، بل ذهبوا الى المقاطعة العامة، وهنا لابد أن يقف الحليم وعقلاء الرجال ويتساءلوا: ما هي عوامل الثبات، وكيف صبر المسلمون على هذه الاضطهادات التي تقشعر لسماعها الجلود وترجف لها الأفئدة؟ هناك أسباب منها: الإيمان بالله وحده ومعرفته حق المعرفة، وقيادة تهوي إليها الأفئدة ، وشعور بالمسؤولية، وإيمان بالآخرة، وقرآن يتنزل يثير مشاعر المسلمين ونوازعهم على الصبر والتجلد. ثم هناك سبب آخر، لا يقل أهمية عن الأسباب الماضية، وهو: البشارات "التفاؤل" فالمسلمون علموا أن الدخول في الإسلام لا يعني جرّ المصائب، بل هو قيادة الإنسانية الى مرضاة الله، التي تخرجهم من عبادة العباد الى عبادة الله وحده.

- ومن هذه البشارات: ما قاله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون) (الصافات:١٧١-١٧٣) وقوله تعالى (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) (الروم:٤-٥)، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك، فقد روى الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فإذا متم كنتم ملوكا في الجنة" ولذا كانت الاضطهادات أمام البشارات المتوالية ليست إلا "سحابة صيف عن قليل تقشع".

٢- في هجرته صلى الله عليه وسلم جاء قوله لأبي بكر رضى الله عنه: "لا تحزن إن الله معنا"، بل بشر سراقة بن مالك الذي كان يطارده وصاحبه بتاج كسرى.

فيا أيتها المرأة الثكلى، ويا أيتها الزوجة المترملة، ويا أيها الشيخ الذي أقعده المرض، ويا أيها الشاب الذي فقد عمله، ويا أيها العاصي من شبابنا وفتياتنا: إن رحمة الله قريب من المحسنين، وإن بابه قريب وسائله لا يخيب، فتوجهوا الى من يجيب المضطر إذا دعاه، وأبشروا فإنكم تناجون رحمانا رحيما.

التفاؤل بالحياة

إن تحقيق السعادة لا يكون إلا بالتفاؤل والأمل فهما أساس السعادة الأبدية فمن أجل ذلك كان ولابد من النظر للحياة نظرة إيجابية، والابتعاد عن التشاؤم فكما أن هناك شر فهناك خير أيضاء وبالرغم من وجود الفشل في حياة الأفراد يوجد نجاحات متعددة، وكما أن هناك ظلام حالك يوجد بصيص نور ينير الدروب المظلمة، فيجب عدم النظر للنصف الفارغ من الكأس بل ننظر إلى النصف الممتلئ منها، وعلى كل إنسان أن يبني الأمل في نفسه وأن ينظر للمستقبل المشرق، ولا يجعل لليأس مكانًا فيها، فعلى الإنسان أن يغير من نظرته للحياة وأن ينظر إليها من زاوية أخرى، وفي هذا المقال سيتم التحدث عن أثر التفاؤل والأمل في الحياة.

تحقق التفاؤل والأمل في الحياة

- بالنظر للناجحين وتذكر النجاحات السابقة

يتحقق المستحيل وتهون المصاعب.

السعي جديا إلى العمل وترك الإحباط والكسل؛ فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

البدء من جديد والنهوض بالنفس وتكرار كل عبارة تحطم الفشل وتدمر اليأس وتقتل الأمل مثل؛ أنا أقدر أنا أستطيع سأواصل النجاح.

الإنسان الذكي لا ينظر إلى الفاشلين والمحبطين من حوله.

- **أثر التفاؤل والأمل في حياة الفرد والمجتمع**

- يساعد الفرد في تجاوز عقبات الحياة والتأقلم معها.
- المتفائل يتجاوز مشاعر القلق والخوف إلى مشاعر الأمل والإرادة والإصرار.
- يزيد من ثقة الإنسان بنفسه ويجعله قويًا.
- المتفائل لا يسمح للمواقف السلبية بالتأثير ونتائج عليه أو أن تحبط من عزيمته وتقلل من إرادته وأمله بالحياة.
- بالتفاؤل والأمل يبنى جيلًا قادرا على النهوض بالمجتمع، ينظر إلى المستقبل بإيجابية وأمل.
- المتفائل أكثر صحة جسميا ونفسيا من غيره والأمل له دور كبير في تشكيل شخصية الفرد الاجتماعية وتكوين علاقة جيدة في المجتمع.
- الأمل يدفع الإنسان إلى العمل ويبعث في النفس شعور بالراحة والطمأنينة.
- بالأمل ينظر الإنسان للحياة من جانب مشرق ويرى المستقبل بألوان زاهية جميلة.
- يبتعد الفرد عن التوتر والقلق ويقلل من الإحباط النفسي، ويدفعه إلى المواصلة والمضي نحو تحقيق الأهداف.
- والمضي نحو تحقيق الأهداف.

أمور تساعد على التفاؤل وتبعث الأمل

- الاستماع إلى الأشخاص الإيجابيين؛ فالمتفائل لا يسمح للأشخاص السلبين بالتأثير ونتائج على حياته، ويتجاهل كل من يحاول مضايقته.
- النظر إلى الحياة نظرة إيجابية.
- ممارسة الرياضة؛ فهي تقوي الجسد وتبعد الكسل وتجعل الافراد نشيطين ومتفائلين وتبعث التفاؤل والأمل فيهم.
- وضع الهدف نصب الأعين والسعي لتحقيقها دون تراجع.

التفاؤل في زمن اليأس

- إن التفاؤل روح تسري في الروح؛ فتجعل الفرد قادراً على مواجهة الحياة وتوظيفها، وتحسين الأداء، ومواجهة الصعاب.
- والناس يتفاوتون في ملكاتهم وقدراتهم، ولكن الجميع قادرون على صناعة التفاؤل، فالجبرية المطلقة انتحار، واعتقاد المرء أنه ريشة في مهب الريح، أو رهن للطبائع والأمزجة التي رُكّب عليها أو ورثها عن والديه، أو تلقاها في بيئته الأولى، وأنه ليس أمامه إلا الامتثال؛ كل ذلك يعتبر إهداراً لكرامته الإنسانية، فلا بد من قرار بالتفاؤل؛ فالتفاؤل قرار ينبثق من داخل النفس هذا أولاً.
- ثانياً: المظهر والشكل الموحي بالثقة في المشي والحركة، والالتفات والقيام، والقعود والنظر، والكلام والمشاركة مهم؛ فلا تتوهم أن الناس ينظرون إليك بازدراء، واثق الخطوة يمشي ملكاً،
- وحتى تلك العيوب أو الأخطاء في مظهرك وشكلك وحركتك عليك ألاّ تقف عندها طويلاً، ولا تعرْها اهتماماً زائداً.
- ثالثاً: تدرّب على الابتسامة، وكن جاهزاً لتضحك باعتدال، فتبسّمك في وجه أخيك صدقة، والبسمة تصنع في قلبك وحياتك الكثير خصوصاً إذا كانت ابتسامة حقيقية يتواطأ فيها القلب مع حركة الوجه والشفتين، وليست ابتسامة ميكانيكية.

إن النكت الطريفة في حياة الناس حقيقة قائمة يصنعونها أو يروونها، فالوقورون والمشاهير، والعلماء والساسة، ومن يحافظون على مهابتهم أمام الناس يتبادلون الطرائف والظرف والنكت في مجالسهم الخاصة وأحاديثهم وبيوتهم، وليالي سهرهم وسمرهم، وأحياناً النكت الثقيلة، وقد كان الشافعي – رضي الله عنه – يقول: "ليس من المروءة الوقار في البستان".

ولا شك أن لكل شيء قدراً؛ فليس المقصود أن يتحول الإنسان إلى كائن ضاحك، لا هم له إلا الضحك، ولا بد من وضع الأمر في نصابه، ولكن ينبغي أيضاً أن نتذكر أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي جُبل على الضحك؛ فهي إحدى خصائصه، وعليه ألّا يهدره.(موقع الإسلام اليوم من مقال ل د. سلمان بن فهد العودة)

تفاؤل النبي – صلى الله عليه وسلم –:

- إنّ من الصفات النبيلة والخصال الحميدة التي حبا الله بها نبيه الكريم ورسوله العظيم – عليه الصلاة والسلام – صفة التفاؤل، إذ كان – صلى الله عليه وسلم – متفائلاً في كل أموره وأحواله، في حلّه وترحاله، في حربه وسلمه، في جوعه وعطشه، وفي صحاح الأخبار دليل صدق على هذا، إذ كان – صلى الله عليه وسلم – في أصعب الظروف والأحوال يبشر أصحابه بالفتح والنصر على الأعداء، ويوم مهاجره إلى المدينة فراراً بدينه، وبحثاً عن موطئ قدم لدعوته نجده يبشر عدواً يطارده يريد قتله بكنز سيناله، وسوار مَلِكٍ سيلبسه، وأعظم من ذلك دين حق سيعتنقه، وينعم به ويسعد في رحابه.
- نعم إنه التفاؤل، ذلك السلوك الذي يصنع به الرجال مجدهم، ويرفعون به رؤوسهم، فهو نور وقت شدة الظلمات، ومخرج وقت اشتداد الأزمات، ومتنفس وقت ضيق الكربات، وفيه تُحل المشكلات، وتُفك المعضلات، وهذا ما حصل مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما تفاءل وتعلق برب الأرض والسماوات؛ فجعل الله له من كل المكائد والشرور والكُرب فرجاً ومخرجاً.
- فالرسول – صلى الله عليه وسلم – من صفاته التفاؤل، وكان يحب الفأل ويكره التشاؤم، ففي الحديث الصحيح عن أنس – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ)(رواه البخاري (٥٤٢٤) ومسلم (٢٢٢٤).) والطيرة هي التشاؤم.
- وإذا تتبعنا مواقفه – صلى الله عليه وسلم – في جميع أحواله فسوف نجدها مليئة بالتفاؤل والرجاء، وحسن الظن بالله، بعيدة عن التشاؤم الذي لا يأتي بخير أبداً.
- فمن تلك المواقف ما حصل له – صلى الله عليه وسلم – ولصاحبه أبي بكر – رضي الله عنه – وهما في طريق الهجرة، وقد طاردهما سراقة، فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فساخت قدما فرس سراقة – أي غاصت قوائمها في الأرض – إلى بطنه (رواه البخاري (٣٤١٩) ومسلم (٣٤١٩))..
- ومنها تفاؤله – صلى الله عليه وسلم – وهو في الغار مع صاحبه، والكفار على باب الغار وقد أعمى الله أبصارهم، فعن أنس عن أبي بكر – رضي الله عنهما – قال: (كنت مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في الغار، فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا، قال: (اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا)(رواه البخاري (٣٧٠٧) ومسلم (٢٣٨١) واللفظ للبخاري.).
- ومنها تفاؤله بالنصر في غزوة بدر، وإخباره – صلى الله عليه وسلم – بمصرع رؤوس الكفر وصناديد قريش.
- ومنها تفاؤله – صلى الله عليه وسلم – عند حفر الخندق حول المدينة، وذكره لمدائن كسرى وقيصر والحبشة، والتبشير بفتحها وسيادة المسلمين عليها.
- ومنها تفاؤله – صلى الله عليه وسلم – بشفاء المريض، وزوال وجعه بمسحه عليه بيده اليمنى وقوله: (لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)(رواه البخاري (٥٣٣٢))، كل ذلك وغيره كثير مما يدل على تحلّيه – صلى الله عليه وسلم – بهذه الصفة الكريمة.

- فما أحوج الناس اليوم إلى اتباع سيرة نبينا – صلى الله عليه وسلم -، والله يقول: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (سورة الأحزاب :٢١).

إن واقع أمة الإسلام اليوم، وما هي فيه من محن ورزايا؛ ليستدعي إحياء صفة التفاؤل، تلك الصفة التي تعيد الهمة لأصحابها، وتضيء الطريق لأهله(موقع الشبكة الإسلامية).

التفاؤل وان عظم الخطب:

- ونحن نرى ما نرى من الابتلاءات والشدائد التي تمر به أمة الإسلام من قتل وتشريد، وبعد عن الإسلام وهجر له، وشماتة بالمسلمين، وما رافق ذلك من المعاصي والذنوب، وبالتالي الفتن والمصائب هنا وهناك؛ لابد أيضاً أن نفتح أعيينا على الجوانب المشرقة التي تحققت للأمة في العقدين الأخيرين على مستوى الشعوب على الأقل؟! فمن ذا الذي ينكر هذا الخير العميم الذي انتشر في بلاد الإسلام؟ ومن الذي يكابر في هذه الأفواج الكبيرة العائدة إلى الله، أو الداخلة في دين الله – تعالى-؟! كم هم حفظة القرآن؟ كم هم المشتغلون بحفظ السنة؟ ألم تر عينك أفواج الشباب التي تعتكف في الحرمين في العشر الأواخر من رمضان؟ ألم تسمع عن أخبار المجاهدين الذين رووا أرض الجهاد بدمائهم في فلسطين، وأفغانستان، والشيشان، وكشمير، والعراق وغيرها من البلاد؟! متى كان الشباب يعلنون أن أغلى أمانيهم أن يموت أحدهم شهيداً؟! كم هن النساء اللاتي عدن إلى الحجاب وهن في وسط الفتن، رغم قوة الصوارف والمغريات؟!
- إن هذه مكاسب كبرى يجب أن تكون رافعة لهمتنا، ومبشرةً لنا بأن عمل من سبقنا من المصلحين – رغم ضعف إمكانياتهم، وقلة اتصالاتهم – آتى ثماراً يانعة.
- إن بشائر النصر تلوح في الأفق، وهي – بمقياس الزمن الطويل – ليست ببعيدة – بإذن الله -، ولكننا – أحياناً – نستعجل، وربنا لا يعجل لعجلتنا.
- يقال هذا، وتُذكر هذه البشائر؛ ونحن جميعاً نعلم أن في الأمة جوانب كثيرة تحتاج إلى إصلاح، نعم لكن لماذا نستمر في جلد ذواتنا، وتحطيم ما شُيِّد من جهود كبيرة، وكأننا لا نملك أي بصيص من الأمل؟! قلب نظرك – أخي – في صفحات التاريخ فستجد أن الأمة مر بها أنواع من الفتن والابتلاءات أضعفتها، وأنهكتها فترة من الزمن، ولكنها عادت بعد ذلك قوية، وحسبنا هنا أن نشير إلى إحدى الابتلاءات الكبار التي تعرضت لها الأمة وهي غزو التتار، ونسوق كلام عالمين أرّخا ورصدا مشاعر الأمة في تلك الفتنة العمياء الصماء، أحدهما أدرك أولها، والآخر أدرك آخرها.
- أما الذي أدرك أولها فهو العلامة ابن الأثير في كتابه "الكامل" ١٠ / ٣٩٩ – حيث يقول – في أحداث سنة ٦١٧هـ: "لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً

لذكرها، فأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً، إلا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله – سبحانه وتعالى – آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.

- ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج، وأما الدجال فإنه يبقي على من اتبعه ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"
- وهذا الوصف من ابن الأثير وهو بعد لم يدرك تلك الفاجعة العظمى والنكبة الكبرى لسقوط بغداد، ونهاية الخلافة الإسلامية الكبرى، يقول ذلك وهو لم يعلم بتجاوز التتار بلاد العراق إلى بلاد الشام، وما تبع ذلك من مآس ومصائب والتي وصفها إمام آخر وقف على أحداثها يصفها ويشخص فيها أحوال الناس، ويصور مشاعرهم ومواقفهم بدقه وخبرة؛ شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حين يقول: "فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده ودأب الأمم وعاداتهم، لاسيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرُها، واستطار في جميع ديار الإسلام شررها، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه، وكشر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه، وكاد فيها عمود الكتاب أن يجتث ويخترم، وحبلُ الإيمان أن ينقطع وينصرم، ودارُ المؤمنين أن يحل بها البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار، وظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض أنْ ما وعدهم الله ورسوله إلا غرورا، وأن لن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهليهم أبداً، ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران، وأنزلت الرجل الصاحي منزلة السكران، وتركت اللبيب لكثرة الوساوس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللهفان، وميز الله فيها أهل البصائر والإيقان من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف إيمان، ورفع بها أقواماً إلى الدرجات العالية، كما خفض بها أقواماً إلى المنازل الهاوية، وكفّر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامه مختصرة من القيامة الكبرى... وفرّ الرجل فيها من أخيه، وأمه وأبيه، إذْ كان لكل امرئ منهم شأن يغنيه، وكان من الناس من أقصى همته النجاة بنفسه لا يلوي على ماله ولا ولده ولا عرسِه، وبليت فيها السرائر، وظهرت الخبايا التي كانت تكنها الضمائر، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المآل" انتهى كلامه – رحمه الله -.

- ثم لا بد أن نعلم أن من حكم الابتلاء: تمحيص الصفوف، تكفير الذنوب، وهذا أمرٌ بين، فكم هم الدخلاء على الصف الإسلامي الذين لا يعرفهم إلا الندرة من الناس، فإذا جاءت مثل هذه المحن والابتلاءات ميّزت الطيب من الخبيث، وشرح ذلك يطول جداً.
- هذا دين الله الذي تكفّل بنصره، وأمرنا بأن نسعى لذلك، ولم يكلفنا أن نحصد ثمرة النصر، بل هذه لم تطلب من الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام -.
- تأمل أخي.. لقد مات النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو لم يفتتح من بلاد الإسلام القائمة اليوم إلا ما يشكل الربع تقريباً أو أقل، ولكن تابع أصحابه والتابعون لهم بإحسان الفتوحات، فوصلوا إلى حدود الصين شرقاً، وإلى جنوب فرنسا غرباً، وكل ذلك محسوب ومضاف إلى رصيده.
- فالواجب علينا أن نتبنى مشروعات دعوية تقوم على العمل المؤسسي – إن أمكن – لأن ذلك أدعى لاستمرارها وبقائها، إذ لن يؤثر عليها موت شخص أو سجنه، بل هي تسير وفق خطة وسياسة واضحة يتلقاها اللاحق عن السابق.
- وإني لأعجب من مسلم يقرأ قوله – تعالى-: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ* وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) (سورة الصافات:١٧١-١٧٣)، كيف يدب اليأس إلى قلبه؟
- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقله عنه ابن عبد الهادي في "اختيارات ابن تيمية ص (٧٠-٧١): "وهذا يشكل على بعض الناس، فيقول: الرسل قد قتل بعضهم فكيف يكونون منصورين؟ فيقال: القتل إذا كان على وجهٍ فيه عزة الدين وأهله كان هذا من كمال النصر، فإن الموت لا بد منه، فإذا مات ميتة يكون بها سعيداً في الآخرة فهذا غاية النصر، كما كان حال نبينا – صلى الله عليه وسلم -، فإنه استشهد طائفة من أصحابه فصاروا إلى أعظم كرامة، ومن بقي كان عزيزاً منصوراً، وكذلك كان الصحابة يقولون للكفار: أخبرنا نبينا أنّ من قتل منا دخل الجنة، ومن عاش منّا ملك رقابكم، فالمقتول إذا قتل على هذا الوجه كان ذلك من تمام نصره، ونَصْر أصحابه، ومن هذا الباب حديث الغلام الذي رواه مسلمٌ لما اتبع دين الراهب، وترك دين الساحر، وأرادوا قتله مرة بعد مرة فلم يستطيعوا، حتى أعلمهم بأنه يقتل إذا قال الملك: بسم الله رب الغلام، ثم يرميه، ولما قتل آمن الناس كلهم، فكان هذا نصراً لدينه" انتهى كلامه.
- وفي ظل هذه الفتن، وتتابع هذه المصائب؛ يجب ألا تشغلنا هذه الفتن عن عباداتنا الخاصة بيننا وبين ربنا، فالضرورة تتأكد بوجوب العناية بإصلاح القلب، **وهذا يتحقق بأمور منها:**
- أ – التعلق بالله – عز وجل – دائماً، واللجوء إليه، وكثرة الإلحاح عليه بالدعاء، فإن الله – تعالى- نعى على قومٍ أصيبوا بالضراء، فلم يكن ذلك سبباً في تضرعهم قال – تعالى-: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ* فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (سورة الأنعام:٤٢-٤٣).
فما أحوجنا إلى اللجوء والتضرع إلى ربنا في كشف ضرنا، وإصلاح أحوالنا، والاستغاثة به في طلب النصر، وكبت العدو وخذلانه.
- ب- لا بد لكل واحدٍ منا من عبادة يلازمها، ويكثر منها، مع العناية ببقية العبادات، فإن للعبادة أثراً عظيماً في سكون القلب، واستقرار النفس.

وسبب ذلك – والله أعلم – أنه في زمن الفتن يخف أمر الدين، ويقل الاعتناء بأمره، ولا يبقى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه، ومعاشه، ونفسه وما يتعلق به.

فمن فتح عليه في نوافل الصلوات، أو في الصيام، أو في الصدقة، أو في قراءة القرآن، أو في غيرها من العبادات؛ فليلزمها، وليكثر منها، فإنها من وسائل الثبات بإذن الله – تعالى-.

- ج – الإقبال على قراءة القرآن بتدبر، وقراءته قراءة المستشفي به، الطالب للهدى منه، المحرك لقلبه به، فإن ذلك من أعظم الأدوية وأنفعها للقلب خصوصاً في هذه الأزمنة التي انفرط عقد الفتن ولا حول ولا قوة إلا بالله(مستفاد بتصرف من كتاب: "الأمة بين سنتي الابتلاء والعمل" (ج ١ / ص ٦٥).).

التفاؤل سنة نبوية:

- وصفة إيجابية للنفس السوية، يترك أثره على تصرفات الإنسان ومواقفه، ويمنحه سلامة نفس وهمة عالية. التفاؤل سنة نبوية، وصفة إيجابية للنفس السوية، يترك أثره على تصرفات الإنسان ومواقفه، ويمنحه سلامة نفس وهمة عالية، ويزرع فيه الأمل، ويحفزه على الهمة والعمل، والتفاؤل ما هو إلا تعبير صادق عن الرؤية الطيبة والإيجابية للحياة . وفي المقابل هناك علاقة وطيدة بين التشاؤم وكثير من م"سنظاهر الاعتلال النفسي وضعف الهمة، حيث يجعل صاحبه ينتظر حدوث الأسوأ، ويتوقع الشر والفشل، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره التشاؤم، ويحب الفأل الحسن الذي له علاقة بالعمل والأمل، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة» (رواه البخاري)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطيرة" (رواه البخاري)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الطِّيَرَة شِرْك، الطِّيَرَة شِرْك، الطِّيَرَة شِرْك» (رواه أبو داود)، قال النووي: "الطيرة شرك أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر، إذا عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك لأنهم جعلوا لها أثرًا في الفعل والإيجاد". والتفاؤل نور في الظلمات، ومخرج من الأزمات والكربات، وهو سلوك نفسي حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله، وهو مقرون بالإيمان بالله عز وجل، ومعرفته بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، لأن المؤمن يستشعر معية الله {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة:٤٠]، كما يعرف ربه بأسمائه الحسنى وأنه أرحم الراحمين {وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف:٦٤]، لطيف بالعباد {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ} [الشورى:١٩]، وسعت رحمته كل شيء {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف:١٥٦]، يدافع عن المؤمنين {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج:٣٨]، واسع المغفرة قابل التوب وغافر الذنب {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} [غافر:٣]، ناصر لعباده المؤمنين {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر:٥١]، وغيرها من صفات الله الحسنى التي تجعل المؤمن في تطلع للأمل، وتوقع للخير، وانتظار دائم للفرج، وهذه كلها تصب في معنى التفاؤل الذي أمر به وحث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله، وربَّى عليه أصحابه رضوان الله عليهم.. ومن الأمثلة الدالة على ذلك: في الهجرة: انطلق المشركون في آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، يرصدون الطرق، ويفتشون في جبال مكة، حتى وصلوا غار ثور، وأنصت الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه إلى أقدام المشركين وكلامهم. يقول أبو بكر رضي الله عنه: قلتُ للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا!، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما» (رواه البخاري). ويصف أبو بكر رضي الله عنه ما حدث مع سُراقة فيقول: فارتحلنا بعد ما مالت الشمس وأتبعنا سراقة بن مالك، فقلت: أتينا يا رسول الله، فقال: «لا تحزن إن الله معنا»، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فارتطمت به فرسه إلى بطنها، فقال: إني أراكما قد دعوتما عليَّ، فادعوَا لي، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فنجا، فجعل لا يلقى أحدًا إلا قال: كفيتكم ما هنا، فلا يلقى أحدًا إلا رده، قال: "ووفىَّ لنا" (رواه البخاري). قال أنس: "فكان سراقة أول النهار

جاهدًا -مبالغًا في البحث والأذى- على نبي الله صلى الله عليه وسلم، وكان آخرَ النهار مَسْلَحةً له -حارسًا له بسلاحه-". يعلّم أصحابه التفاؤل: لم يكتفِ النبي صلى الله عليه وسلم بتحقق هذه السمة لديه في شخصه، بل كان يربي أصحابه عليها ويعلمهم إياها، ففي أشد المواقف وأصعبها كان صلى الله عليه وسلم يغرس في نفوس أصحابه الضعفاء والمضطهدين التفاؤل والأمل، وعدم اليأس، واليقين بموعود الله ونصره لعباده المؤمنين. عن عدي بن حاتم قال: بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي! هل رأيت الحيرة؟، قلتُ: لم أرها، وقد أنبئت عنها، فقال: إن طالت بك حياة لترين الظعينة -المرأة- ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله، قلتُ في نفسي: فأين دعّار طيئ -قطاع الطريق- الذين سعروا في البلاد؟!، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلتُ: كسرى بن هرمز؟! قال: كسرى بن هرمز!!، ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله فلا يجد أحدًا يقبله منه (رواه البخاري). قال عدي: "فرأيتُ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج ملء كفه". وعن خَباب بْنِ الأرَتِّ رضي الله عنه قال: "شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟، قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمشَّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»" (رواه البخاري). قال الحافظ في الفتح: "يحتمل أن يريد صنعاء اليمن، وبينها وبين حضرموت من اليمن أيضًا مسافة بعيدة نحو خمسة أيام، ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والمسافة بينهما أبعد بكثير". ومن خلال غزوة الأحزاب وما فيها من ظروف عصيبة شديدة، وحصار جماعي من مختلف قبائل العرب واليهود بجيش يبلغ عشرة آلاف مقاتل، وشدة البرد والجوع والخوف، والمعاناة الشديدة في حفر الخندق، مع ذلك كله كان صلى الله عليه وسلم يغرس في أصحابه التفاؤل والأمل، فيعدهم ويبشرهم بفتح الشام وفارس واليمن، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، قال وعرض لنا فيه صخرة لم تأخذ فيها المعاول، فشكوناها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء فأخذ المعول ثم قال: باسم الله، فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال: باسم الله، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال: باسم الله، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا (رواه أحمد). وفي مقابل اعتنائه صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه وتربيتهم على التفاؤل الذي يبعث على الأمل والعمل، والصبر والثبات على الدين، كان يحذرهم من النظرة التشاؤمية التي تقعدهم عن العمل والدعوة، وتدفعهم للإحباط واليأس الذي لا يرى في الناس أملًا لصلاح أو هداية، فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا قال الرجل: هلك الناس فهو

أهلكُهُم» (رواه مسلم)، أهلكهم على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر، قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين: "الرفع أشهر ومعناه أشدهم هلاكًا، وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة". إن المتأمِّل في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدها نبعًا ثريًّا لكل الأخلاق الطيبة، والصفات النبيلة، وكيف لا تكون سيرة نبينا وحبيبنا صلى الله عليه وسلم كذلك وقد اصطفاه الله على بني آدم، وختم به أنبياءه ورسله.. فما أحوجنا إلى اتباع هديه صلى الله عليه وسلم في التفاؤل بل في حياته وأخلاقه كلها، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١].

نسأل الله تعالى أن يعلي شأن هذه الأمة، وأن ينصر دينه إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

الفهـــــارس

م	الفهـــــــرس	رقم الصفحة
١	تعريف الفأل لغة واصطلاحاً	٢
٢	فاليأس لا يجوز في حياة المسلم؛ لأنه من صفات الكفار والذين لا يعرفون حقيقة دين الله تعالى .	٣
٣	التفاؤل وأهميته في حياتنا	٧
٤	أسباب التفاؤل	١٠
٥	التفاؤل بالحياة	١٢
٦	تحقق التفاؤل والأمل في الحياة	١٣
٧	أثر التفاؤل والأمل في حياة الفرد والمجتمع	١٣
٨	أمور تساعد على التفاؤل وتبعث الأمل	١٤
٩	التفاؤل في زمن اليأس	١٤
١٠	تفاؤل النبي – صلى الله عليه وسلم –:	١٥
١١	التفاؤل وان عظم الخطب:	١٦
١٢	التفاؤل سنة نبوية:	٢٠